

منبر المحراب

التضحية والإيثار

مبيت الإمام علي عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله

السنة الخامسة عشرة
العدد ٨٢٢ / ٢٨٠ / صفر ١٤٣٠ هـ
الموافق ٢٤ / شباط ٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- ١- قصة مبيت علي على فراش النبي صلى الله عليه وآله.
- ٢- اقتران التضحية بالثبات على المبادئ وسلامة النية.
- ٣- أنواع التضحية:
- التضحية بالنفس.
- التضحية بالمال.
- التضحية بالأجبة.
- ٤- تضحيات المقاومة الإسلامية، والشعب في لبنان (انموذجاً)

الهدف: شرح مفهوم التضحية والإيثار

ولا سيما ما حصل في حادثة مبيت علي في فراش النبي صلى الله عليه وآله، وإيثاره على نفسه، وتضحيات علي وشجاعته دفاعاً عن الإسلام.

تصدير الموضوع: قال الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتُ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾

١- علي مدرسة التضحية والإيثار:

تثبت الوقائع التاريخية أن علياً بات علياً بات مرتين على فراش النبي صلى الله عليه وآله:

الأولى: في شعب أبي طالب: لما حاصرت قريش المسلمين وبني هاشم في شعب أبي طالب وللمزيد من الاحتياط والحرص على سلامة حياة الرسول صلى الله عليه وآله كان أبو طالب يطلب من ولده علي أن يبيت في مكان الرسول ليلاً حرصاً على سلامته من الاغتيال والمباغلة من قبل الأعداء من خارج الشعب، وكان علي عليه السلام يسارع إلى الامتثال لأوامر والده ويضطلع في فراش النبي صلى الله عليه وآله فنادياً نفسه من أجل الرسالة وحاملها.

الثانية: عندما تأمروا على قتله: وكان

القرار بعد أن اجتمعوا في دار الندوة وقد كثرت الآراء بينهم أن يندبوا من كل قبيلة فتى شاباً معروفاً في قبيلته، ويقتلوه ضربة رجل واحد، واتفقوا على ليلة تنفيذ الخطة، فأتى جبرائيل إلى النبي وأخبره بذلك، وأذن له بالهجرة، فعند ذلك أخبر علياً بأمورهم وأمره أن ينام في مضجعه على فراشه الذي كان ينام فيه، فاستقبل أمر الرسول صلى الله عليه وآله بنفس مؤمنة صابرة مطمئنة، فرسم لنا أكمل صورة للطاعة المطلقة في أداء المهمات استسلاماً واعياً للقائد وتضحية عظيمة من أجل العقيدة والمبدأ، فما كان جوابه عليه السلام إلا أن قال للرسول صلى الله عليه وآله: «أوتسلم يا رسول الله إن فديتك بنفسي؟»، فقال صلى الله عليه وآله: «نعم بذلك وعدني ربي»؛ فتبسم علي عليه السلام ضاحكاً، وأهوى إلى الأرض ساجداً، شكرًا لما أنباه به رسول الله صلى الله عليه وآله من سلامته. ثم ضمّه النبي صلى الله عليه وآله إلى صدره وبكى وجداً به، فبكى علي عليه السلام لفراق رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعندما جاء الليل: أشتج علي عليه السلام ببرد رسول الله صلى الله عليه وآله الذي اعتاد أن يتشج به، واضطجع في فراش النبي مطمئن النفس رابط الجأش ثابت الجنان مبتهجاً بما أوكّل إليه فرحاً بنجاة النبي. وجاء فتيان قريش والشر يملأ نفوسهم ويعلو سيوفهم، وأحاطوا بالبيت وجعلوا ينظرون من فرجة الباب فرأوا رجلاً ينام على فراشه، فأيقنوا بوجود النبي، ولما حانت ساعة تنفيذ خطتهم: هجموا على الدار، وكان في مقدمتهم خالد بن الوليد، فوثب علي عليه السلام من فراشه فأخذ منه السيف وشده عليهم فاجفلوا أمامه وفرّوا إلى الخارج... (يراجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم، العلامة السيد جعفر مرتضى، ج٤، ص ٨ و ٩)

بهذا الموقف الرائع والإقدام الشجاع والمنهج الفريد سنّ علي عليه السلام سنة التضحية والفداء لكلّ الثائرين من أجل التغيير والإصلاح والسائرين في دروب العقيدة والجهاد، فنزلت في حقّه الآية المباركة: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشِيرُ فِي نَفْسِهِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

الله والله رؤوف بالعباد:

- مباهاة الله ملائكته بموقف علي عليه السلام: روي: «أنه ليلة بات علي بن أبي طالب عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوحى الله تعالى إلى جبرائيل وميكائيل: إني قد أخيت بينكما، وجعلت عمر أحكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة وأحبّاهما، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب حين أخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة؟ اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فهبط جبرائيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجله، وجعل جبرائيل يقول: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فوق سبع سموات؟ (يراجع المصدر السابق، وأعيان الشيعة ج ١/ ص ٢٣٦) / وأسد الغاب ج ٤/ ص ٢٥

٢- أنواع التضحية وأشكالها:

يتسع لفظ التضحية للكثير من الأنواع والأشكال، فالتضحية ألوان متعددة وأشكال متنوعة بالمال والوقت والجهاد والأهل والشعبة بل والنفس في إقامة الدين وحفظه: ومن أهم هذه الأنواع:

١- التضحية بالنفس:

وهي أعلى أنواع التضحية، وفيها يجود المسلم بنفسه لله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَ اللَّهِ حَقُّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْأَنْزِيلِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَبْغِيكُمْ بِهَا وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ يَكُنِ الْفَوْزُ الْعَظِيمَ﴾ التوبة ١١١.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: قال: «من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»، بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٠١

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لشهادة عند الله خصّ خصال: يُغفر له في أول دفعة ويرى مقعده



إليه يصعد الكلم الطيب

من الجنة ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقربائه، كنز العمال ج ٤ ص ٤١

٢- التضحية بالمال:

وثاني هذه الأنواع من التضحية هو التضحية بالمال، سواء على سبيل الواجب المقدر شرعاً في صور الخمس و الزكاة وغيرهما من الموارد، أو في صورة الصدقات التطوعية التي يخرجها المسلم طائعاً مختاراً طمعاً فيما عند الله تعالى.

يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة ٢٦٦-٢٦٧.

وبين سبحانه أن الإنفاق في سبيله فرض حسن فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرُضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعَفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة ٢٤٥.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات ١٥.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ الليل ١١-٥.

﴿إِنْ عَلَيْنَا لُلْهُدَى وَإِنْ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْقَى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ الليل: ١٢-٢١.

لقد رأى رسول الله ﷺ ليلة الإسراء قوماً يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي ﷺ: يا جبريل ما هذا؟ قال: هؤلاء المجاهدون في

سبيل الله تضاعف لهم الحسنه لسبعمائه ضعف، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سبأ ٣٩.

٣- التضحية بالأهل والأحبة:

وهذا ما حدث مع الأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام ولاسيما مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء حيث قدم الأهل والأحبة والأصحاب أغلى ما يملكون في سبيل الله ودفاعاً عن دينه. وهذا هو حال من تبعهم من المسلمين إلى يومنا هذا، فقد هاجر الخليل إبراهيم بإسماعيل وهو ما يزال رضيعاً ضعيفاً لا يقوى على شيء، ووضعه في صحراء قاحلة لا زرع فيها ولا ضرع، ولا أنيس فيها ولا جليس.

وهاجر النبي ﷺ وصحبه الكرام من مكة وهي أحب بلاد الله إليهم، هاجروا طاعة لله تعالى، وقطعوا كل علاقاتهم بأهلهم وذويهم وأبنائهم وأحبابهم استجابة لنداء الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحْبَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ. قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ التوبة ٢٣-٢٤.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال ٧٤.

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَنْتَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الثَّوَابِ﴾ آل عمران ١٩٥.

وهكذا أقيم المجتمع المسلم الأول على أكتاف رجال ضحوا بكل أنواع التضحيات إنفاقاً للمال ومفارقة للأهل والولد وبذلاً للوقت والجهد وتضحية بالنفس، كل ذلك

في سبيل الله، وتبعهم بإحسان رجال واصلوا المسيرة من التابعين وتابعيهم وإلى يومنا هذا، بل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلن تخلو الأرض يوماً من هذا الصنف المخلص ليكونوا جند الله على أرضه وتتحول بهم المبادئ والقيم والعقائد واقعاً على الأرض.

٤- تضحيات المقاومة الإسلامية، والشعب في لبنان (نموذجاً)

تمتاز الحرب التي خاضتها المقاومة الإسلامية في تموز ٢٠٠٦ عن الكثير من الحروب والمعارك الأخرى كونها معركة قرّر العدو فيها - وعلى اختلاف مستويات القرار - استئصال المقاومة والقضاء على كل عناصر القوة والصمود والثبات عندها، دون تمييز بين السلاح والبشر والحجر، وباستخدام جميع أنواع الأسلحة والتقنيات العسكرية والأمنية والسياسية والإعلامية، ودون مراعاة لشيء من الضوابط التي فرضها أدعياء حقوق الإنسان في الحروب، وبالمقابل نجد أن المقاومة الإسلامية

في لبنان بقيادتها ومجاهديها وشعبها قد جسدت أروع المعارك وأهمها وأقدسها، من خلال مواجهتها للعدوان الإسرائيلي والحرب الأمريكية بل العالمية على المقاومة ولبنان، و كان السلاح الأقوى في هذه الحرب هو الإيمان والصبر والإرادة والثبات والتوكل على الله تعالى والإخلاص والطاعة له سبحانه من المجاهدين وتضحيات الناس إثارهم، فالمجاهدون بحق كانوا رجال الله، وقد تولاهم الله بعنايته ورحمته وتوفيقيه وتسديده، وقادهم السيد الملهم أعاد إلى الأذهان صوت محمد ﷺ بقيادته الإلهية الحكيمة، وشجاعة علي عليه السلام في خيبر، وصبر الحسن عليه السلام على المؤامرات، وإصرار الحسين عليه السلام على النصر المؤزر، ولهذا أعلن باطمئنان ووثوق في بداية الحرب : النصر آت آت إن شاء الله، وجمهور المقاومة أدهش العالم بإرادته وعزمته وصبره وتحمله، وفوق ذلك كله وعيه وعنفوانه الكبيرين، وهنا تكمن قدسية المقاومة والنصر الإلهي المؤزر في حرب تموز. قال الله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.